عَن أَنَسٍ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال:

١ «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوةَ الإيمانِ:

٢ أَنْ يكونَ اللهُ ورَسُولُه أحَبَّ إلَيهِ ممَّا سِواهُما،

٣ وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّه إلا للهِ،

٤ وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ»(٢٤٥).

(٢٤٥) البخاريُّ (١٦)، ومسلم (٤٣).

آيات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤].

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [النحل: ١٠٦ - ١٠٩]

الراوي

هو: أبو حمزةَ، أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ الأنصاريُّ، الإمامُ، المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابتِه من النساء، وآخر أصحابه بالبصرة موتًا، قَدِمَ رسولُ الله المدينة وهو ابنُ عَشْرٍ، ومات وهو ابنُ عشرين، وغزا معه غَيْرَ مَرَّةٍ، وبايَع تحتَ الشجرة. تُوفي سنةَ: (٩٣هـ)(١).

خلاصة

أخبر النبيُّ ﷺ عن ثلاث صفاتٍ إذا وجدها الإنسان في نفسه فقد تذوق حلاوة الإيمان وهي: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من كل شيء، وأن يُحِبُّ في الله لا من أجل منصب أو مصلحةٍ، وأن يكون أبغض شيءٍ له الرجوع للكفر، فكما يكره الدخولَ في النارِ يكره الكفر وما يوصِل إليه.

(١) تراجع ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٤/ ٤١٧-٤٢٣)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، «معجم الصحابة» للبغويِّ (١/ ٤٣)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ١٥١-١٥٣).

هذا الحديث من أصول الإسلام، ومن جوامع أخباره ﷺ:

١ فأخبر أن الإنسان إذا تحقَّقت فيه ثلاثُ صفاتٍ وجد **حلاوةَ الإيمان، أي طعمًا تشعر به نفسُه كما تشعر بحلاوةِ الطعام**. وهذا كقوله ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[٢٤٦]، وهي مثل ما يجدُه المؤمنُ مِن انشراح صدره، وتنويره بمعرفة الله تعالى، ومعرفة رسوله ﷺ[٢٤٧]، ومن استلذاذِ الطاعات، وتحمُّل المشاقِّ في رِضا الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ، وإيثارُ ذلك على عرَضِ الدنيا[٢٤٨].

و«الإيمان هو غذاء القلوب وقُوَّتها، كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقُوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوةَ الطعام والشراب إلا عند صحَّته، فإذا سَقِم لم يجِدْ حلاوة ما ينفعه من ذلك؛ بل قد يستحلي ما يضرُّه، وما ليس فيه حلاوةٌ؛ لغلَبةِ السقم عليه، فكذلك القلبُ إنما لا يجدُ حلاوةَ الإيمان من أسقامه وآفاته، فإذا سَلِم من مرض الأهواء الْمُضِلَّة والشهوات المحرَّمة، وجَد حلاوةَ الإيمان حينئذٍ، ومتى مرِض وسَقِم لم يجِدْ حلاوةَ الإيمان؛ بل يستحلي ما فيه هلاكُه من الأهواء والمعاصي؛ لأنه لو كمَل إيمانُه لوَجَد حلاوةَ الإيمان، فاستغنى بها عن استحلاء المعاصي»[٣].

(٢٤٦) مسلم (٣٤)، عن العباس بن عبد المطلب ﷺ.

(٢٤٧) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبيِّ (١/ ٢١٠).

(٢٤٨) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنَّووي (٢/ ١٣).

٢ وأول هذه الخصال هي: «أَنْ يَكونَ اللهُ ورَسُولُه أَحَبَّ إِلَيهِ ممَّا سِواهُما»، والمرادُ بحُبِّ الله ورسوله ﷺ: شعورٌ يعرفه الإنسان في قلبه، ويورثه كثرةَ ذكرِ محبوبه، والشوق له، وفعل ما يحبه، وتجنب ما يكرهه، ولا تزال تزيد المحبة حتى يقدمه على كل حبٍّ سواه، بل يقتضي إيثارَ ما يريده محبوبه، وإن كان على خلافِ هوى النفْس.

وهذه المحبة يجب أن تكون مُقَدَّمةً في قلب كل مسلم على كل محبوب، وإلا تعرَّض العبدُ لغضب الله تعالى وعقوبته: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٢٤٩).

٣ وأما الخَصلةُ الثانيةُ: أن يكون اللهُ تعالى حاكمًا عليه في حبه، فيحب المرء لا لشيءٍ إلا لأن الله تعالى يحبه أو أمر بحبه، وفي الحديث: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»(٢٥٠)، ولا يزال تسليمه لله تعالى حتى يكون الحاكم عليه في كل حب، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] وفي الحديث: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»(٢٥١).

٤ وأما الخَصلة الثالثة فهي كراهية الدخول في الكُفر والمعاصي -سواء كان واقعًا فيهما سابقا أو لا-، فإن من آمنَ حقاً، وتعلَّق بحبِّ الله ورسوله ﷺ؛ كان تركه لنعيم الإيمان بالله جحيمًا يكرهه؛ كما يكره أن يلقى في النار(٢٥٢).

والقَدْر الواجب من كراهة الذنوب أن ينفِّر نفسه منها، ويتباعد عنها، ويعزم على ألَّا يقع فيها؛ لعلمه بسخط الله لها، فأما مَيْل الطبع إلى شيء الذنوب دون استجلاب لمحبتها أو فعلها فلا يؤاخَذ به؛ وقد مدَح الله مَن نهى النفْس عن الهوى، فدلَّ أن الهوى قد يميل إلى ما هو ممنوع منه، لكن المؤمن ينهى نفسه عن ذلك(٢٥٣).

---

(٢٤٩) البخاريُّ (١٥)، ومسلم (٤٤)، عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢٥٠) أحمد رقم (١٨٥٢٤) عن البراء بن عازب ﷺ.

(٢٥١) أبوداود رقم (٤٦٨١)، عن أبي أمامة الباهلي.

(٢٥٢) «شرح رياض الصالحين» لابن عُثيمين (٣/ ٢٦٠).

(٢٥٣) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن رجب الحنبلي (١/ ٥٨).

(٢٥٤) «فتح الباري لابن رجب» (١/ ٥٠- ٥١).

١ ذهبت أمُّ سُلَيم بابنها أنس بن مالك إلى النبي ﷺ ليكون خادمًا له، وهو دليلٌ على عظيم محبتها لرسول الله ﷺ، إذ ولدها قُرَّة عينها، وهو حُرٌّ لا عبد، ولم يخدمه لأجل مال، فماذا قدمنا لدين رسول الله ﷺ وأحاديثه وسنته؟

٢ استعمل النبيُّ ﷺ في حديثه أساليب التشويق والإغراء وجذب الانتباه، فابتدأ الحديث بحصر الخصال في عددٍ معين، ليبقى المستمع منتبهًا لها حتى يحصيها، كما أتى بلفظ «حلاوة» ليحرص الإنسان على تحقيق الخصال لينال تلك اللذة. فعلى الدعاة والخطباء والوُعَّاظ أن يحرصوا على اتباع الأساليب الدعوية المُشَوِّقة.

٣ كلما رأيت نفسك مقصرًا في العمل، فعمِّق في قلبك محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». قَالَ: لا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ (٢٥٥).

٤ كلما سمعت فعلَ محبٍّ مع محبوبه، فليكن منك أعظم من ذلك مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ، وهي درجات فمنها محبةٌ تحمل على أداء الفرائض واجتناب النواهي، ومنها محبةٌ تَحمِل على أداء المندوبات، وتجنُّب الوقوع في الشبهات.

٥ لنتعلّم ونعلِّم من حولنا كيف ننمي في قلبنا حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ، فمن طرق تحصيل محبة الله تعالى: معرفةُ أسمائِه وصفاتِه وكمال أفعاله سبحانه، وتأمل جميل صنعه، وتذكير النفس عظيم نعمه، وعظيم رحمته، مع عظيم الذنوب، ومثلُه يُقال في محبة رسول الله ﷺ، بمعرفته ﷺ، والوقوف على جميل خصاله، وعظيم جهاده ﷺ، وكونه سببًا في هدايتنا لطريق الله عزَّ وجلَّ، وغير ذلك.

٦ الإنسان يستطيع أن يؤثِّر في نفسه لتحبَّ شيئًا أو تكرهه، فتفقَّد نفسك وجاهدها حتى تقدم حبَّ رسول الله ﷺ على كلِّ شيء، فقد أخذ النبيُّ ﷺ بيد عمرَ بن الخطاب ﷺ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» (٢٥٦).

---

(٢٥٥) البخاريُّ (٣٦٨٨)، و مسلم (٢٦٣٩).

(٢٥٦) ((البخاريُّ (٦٦٣٢).

٧ إذا أحببت مسلمًا فليظهر آثار ذلك بحسب ما تيسر لكل أحد، كالمجالسة والتزاور والبذل، فإن «رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ -طريقه- مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا -تطلبها-؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(٢٥٧).

٨ متى أحببتَ صاحبًا في الله فحافظ على أن تكون خالصةً لله تعالى، لأن من أحبَّ امرأً لغرض انقطعت محبته بانقطاعه أو اليأس منه(٢٥٨)، وكمال الحب في الله: ألَّا يَزيدَ بالبِرِّ ولا يَنقُصَ بالجفاء(٢٥٩).

٩ عوِّد نفسَك استبشاع المعاصي، وكراهتها لكراهة ما تؤول إليه، واحذر أن تستحليَها في نفسك، أو تتخيلها بصور جميلة، فإن الخواطرَ مفتاح الإرادة، والإرادة مفتاح العمل.

قال الشاعر:

تَعصي الإلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ ... هَذا مُحَالٌ في القِياسِ بَديعُ
لَو كانَ حُبُّكَ صادِقًا لَأَطَعتَهُ ... نَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ
إِنَّ كُلَّ يَومٍ يَبْتَديكَ بِنِعمَةٍ ... مِنهُ وَأَنتَ لِشُكرِ ذاكَ مُضِيعُ

قال أبو قيس الأنصاري ﷺ يذكر قدوم النبي ﷺ إليهم في المدينة(٢٦٠):

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيَا
فَلَمَّا أَتَانَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى ... وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةَ رَاضِيَا
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلِّ مَالِنَا ... وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالتَّآسِيَا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا

(٢٥٧) مسلمٌ (٢٥٦٧).
(٢٥٨) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (١/ ٢١٤).
(٢٥٩) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجرٍ العسْقلاني (١/ ٦٢).
(٢٦٠) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٥١٢).